مطالعات في الأدب والحياة

بقلم الاستاذ محمد حسين اسماعيل

من صور النقد

قرأت في العدد ١١ و ١٢ من مجلة الغري عرضاً وتحليلا لكتاب (صراع) الذي اصدره صديقنا الاستاذ شاكر خصباك ، بقلم الاستاذ علي جواد الطاهر . .

وقد اضطرب الكاتب في مقاله المذكور ، وجاء من المتناقضات بحشد عجيب ، وقد انتهيت من قراءته وكأنني كنت في حفل كبير سمعت فيه الغث والسمين ، وساءلت نفسي اهكذا يكون النقد الادبي ؟ الا يمكن التخلص من المديح المفتعل إلا بالاحكام المرتجلة وبايلام الآخرين ؟

ولو كان الامر يتعلق بشخص واحد لاغضينا الطرف عن التعليق ، ولكن الامر يتعلق بعدد من الادباء ، ويتعلق بالادب القصصي بصورة خاصة ، وبالادب بمعناه الأعم بصورة عامة ، فصار لزاما علينا ان نناقشه الحساب .

اراد الاديب الفاضل ان يتحدث عن مجموعة اقاصيص « صراع » ولما كان الحديث عن القصة يستوجب حصول عنصر المفاجأة ؛ فقد فاجأنا الكاتب عدة مرات ، ويحتال في كل مرة ليجعل المفاجأة اوقع في نفس قارئه فقال مراراً بان الاستاذ خصباك صغير السن ، وانه كتب القصة وهو طالب في المدرسة ، وانه كان يكتبها في وقت يستعد فيه لأداء الامتحان ، وربما نشرها وهو في طليعة الناجحين ، وان بعض الادباء لا يصدقون بانه صغير السن ، الى آخر هذه الاشياء التي تصورها مفاجأة مسرحية .

لا يهم هذا وكاتب هذه السطور يعتقد بعبقرية ، ويعرف شاكر خصباك تمام المعرفة ، وان كنت لا ارغب في هذه المفاجآت ، لأن السن والشهادة المدرسية لا دخل لها في ادب الكاتب ، وانما المقياس هو الانتاج

على ان الكلام العجيب والاحكام المرتجله يجيء اثناء الحديث عن ادب القصة فالكاتب يتحدث بصورة عامة عن القصة العربية والعراقية فيقول : [ان القصة الحقيقية معدومة في ادبنا القديم ، اما الادب الحديث ـ وحتى في مصر ولبنان ـ فالحكم نفسه يكاد يكون نافذاً ، او قل ان القصة بعيدة عن بلوغ الدرجة المطلوبة ، واذا كان هذا في مصر ولبنان حيث لمسنا محاولات مشكورة واحيانا ناجحة ، فواحسرتاه على العراق ، اين العراق من القصة ؟ واين القصة من العراق ؟ العراق بعيد .. بعيد ... بعيد ..] .

واشهد لقد تأثرت بهذه اللهجة المسرحية والحكم الصارم المتناقض ، فبينما يزعم ان القصة الفنية معدومة في الادب القديم والحديث عندنا اذ يعود فيقول انها بعيدة عن بلوغ الدرجة المطلوبة ومعنى هذا انها موجودة فعلا . .

ويفسر الكاتب قصصنا الحاضر بانها دكل ما لدينا لا يتعدى محاولات عابرة تجقيقاً لشهوة موقفة بخبرة هزيلة ، وعندما يمر الكاتب على كلة الاستاذ عبد المجيد لعافي في المقدمة (لقد بدأت القصة في العراق بداية حسنة ولاريب في ذلك ، فقد استطعنا ان نكتب في القصة بنجاح يبشر بأمل وارف) يعلق عليها بقوله : « لا اريد ان اسأل عن هذا النجاح ، ولا اريد ان اسأل عن تعداد اعلام القصة العراقية ، لا فجواب ذلك معروف لدي انه صفر ولاشك »

وبهذا سلب الاديب قصاصينا من مميزات القاص وانكر وجود القصة في ادبنا المعاصر . واشفقنا على الصديق شاكر خصباك اكثر من اشفاقنا على غيره من القصاصين . كيف لا والحديث يدور عن قصصه وادبه .

ولكن لا انتظرني ، فهناك مفاجأة مسرحية جديدة ؛ ان شاكر وحده في رأي استاذنا الكبير [من القصاصين الذين يحملون فكرة ؛ ويهدفون نحو غاية ، ويشيرون بوعي . . . انك تلمس الروح القصصي جليا في كل مكان ، انك امام قصاص في كل ما تقرأ ، انك امام قصص لها طابعها الفني لا حكايات على السلاطين وكيفما

اتفق ، بل انك تؤمن تماما انك امام قصاص متقد الجملة الاولى لأية قصة .. ولديه براعة الاستهلال والعرض ، ومن هنا وهناك جاء عنصر الاثراء فانك ما تكاد تقرأ الجملة الأولى حتى تواصل وتواصل وتواصل الى الجملة الاخيرة من حيث تدري ولا تدري ؛ وانا متأكد بانه سيكون في اقرب وقت احسن واحسن واحسن ؛ بل لم لانقول انه احسن اسلوب قصصي ناجح) .

وقد عجزت انا ياقارئي من كتابة الأحسن اربع مرات في جملة واحدة ، وتواصل عدة مرات . وبعيد مراراً ، واخشى ان تعجز عن تتبعة المقال او تنهني باضاعة وقتك ، فلا تغضب سايرني وامري وامرك الى الله .

وننتقل الى الكاتب الذي يرتجل الآراء والاحكام لنقول له كلا يا سيدي ليس الأمر كما قلت .

ان القصة عندنا في دور النضج والتكامل وهي اقل من مثيلتها في الادب الغربي مافي ذلك شك ، ولكن الذي نشك فيه هو صحة احكامك على القصاصين المعاصرين ونسبة اصالة الفن عندهم وعند الاستاذ خصباك . وان في الادب القصصي العراقي الكثير من الرواد والمبرزين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الاستاذ عبد المجيد لطفي القاص الماهر وهو من الرواد الاوائل ، والاستاذ ذو النون ايوب ومحمود محمد الحبيب ؛ وكلهم له اثر في القصة العراقية لاينكره احد ، فكيف ساغ لك ان تنسى آثار هؤلاء وتزعم ان لم يكن للقصة اثر أو وجود حتى جاء الاستاذ شاكر خصباك بعمله الباهر المثير !

صدقني . ان شاكر خصباك يعترف لك بأنه معجب بالاستاذ عبد المجيد لطفي ، متتبع لآثاره وعندما طلب منه ان يكتب له مقدمة كتابه لم يكن يعلم أنك ستحاول المفاضلة بين صديقين يحمل احدهما للاخر ما يحمله التلميذ لاستاذه من التجلة والاعجاب .

ان تبادل المديح او انتظاره شيء جميل ولكن لا على حساب الادب والفن وقديما قالوا [ان الناقد اديب فاشل] او كما قال الاخر [ان النقد مهنة العاجز] ومعنى ذلك ان الناقد لايستطيع الخلق في الفن فجاء يتتبع آثاره شارحا او واضعا ومعبرا ، فلا تدعهم يزيدون شيئا على هذا الكلام بقولهم ان الناقد هو الاعلان الناطق عن الادب الصامت .

وبعد ، فلا اريد ان ازيد في النقد او التعليق ، لان الحديث يدور حول ادب شخص احمل له صادق الود والاعجاب ، ويتناول اشخاصا تربطني بأكثرهم روابط من اخوة الادب او الصداقة ؛ وكنت اود ان تقدر ادب الاستاذ خصباك ولكن لا على حساب الآخرين .

الحديث ذو شجون

الأديب يوسف يعقوب حداد كثير الانتاج ، محب للنشر ، يكتب في الادب والنقد والقصة ، يود لو يكتب في الاقتصاد والكيمياء ، وفي وقت من الاوقات كان يشرف على تحرير النديم وهي جريدة فكاهية هزلية ، وقد تحمل تبعات تصليح الفكاهات ونشر اخبار القادمين والمسافرين في سبيل شيء واحد ، هو ان ينشر مايكتب فيها ، وان يقرأ اسمه كرئيس للتحرير ، وان كان على جريدة فكاهية هزلية !

وانتقلت جريدة النديم من البصرة ، فاخذ يواصل النشر في النجف وغيرها ، ويزعم في بعض الاحيان انه يترجم القصص عن التركية والانكليزية ، على الرغم من ان معرفته للغة الانكليزية كمعرفتي بها - ومعرفتي بها في حدود العدم - واما التركية فهو يزعم بأنه يسمعها رواية من بعض الناس ثم يكتبها باسلوبه ؟ تماما كما كان المنفلوطي .

وبعض المجلات النجفية - والعلم نور - تنشر الغث والسمين ، ولا بأس من ان تخلع النعوت والالقاب على كتابها كما تشاء ، كما زعمت احداها حين قالت بان الاديب يوسف قد ترجم روائع الادب الغربي ، ولم يخجل رئيس تحرير تلك المجلة المحترمة من هذه الاكاذيب وانما خجل يوسف من نفسه !

وحب الكتابة والنشر عند الاديب البصري طبيعة اصيلة ، يقول ذلك هو نفسه في مقال نشرته الهاتف وزعم فيه انه حين يستلقي على فراشه للنوم تأتيه روائع الافكار فيمد يده ويكتب على تراب السطح مايمر بخاطره كيلا ينساه في الصباح

تقول هذا بمناسبة ما كتبه الاديب حـــداد بجريدة الخبر المصرية عن اسباب كساد الادب ، وانسحاب الاستاذ الكبير عبد المجيد لطفي من الميدان الادبي ، فقد قال (ومن ظواهر هـذا الكساد ان الاديب الكبير عبد المجيد لطفي الذي سماخ من عمره وشبابه النصف الثاني تقريباً يكتب ويحبر يكاد اليوم يموت جوعاً ، فقرران يطلق الادب ثلاثا كي يتفرغ للحياة المادية التي تقيه شر الجوع والعوز والفاقة . وتبعه الشاعر عبد القادر رشيد الناصري فهو على الرغم من اجادته النظم ووفرة انتاجـــه وكثرة منشوراته الا انه لايجد لقمة الخبز يتبلغ بها) ،

ونشر الخبر على هذه الصورة والمقارنة بين الصديقين فيه نظر كثير . ونلتفت الى الاديب البصري لنسأله من قال لك ان عبد المجيد لطفي يكاد اليوم يموت جوعاً؟ وان عبد القادر لايجد لقمة الخبز يتبلغ بها ؟ ان البكاء على الاحياء امر معيب ، وعبد المجيد لم يصل بعد الى الدرجة التي ذكرتها والتي اثارت شفقتك ، وانه لم ينسحب لامر يخص المعده وانما لامر يخص الروح والفكر ، وهو موظف محترم بوزارة المالية وله المكان المرموق والدخل الثابت واذا اسعدك الحظ برؤيته ومعرفته شخصيا لرأيت من حسن السمت والملبس والمظهر مايبعد هذه الشفقة المصطنعة عنك ، واذا انسحب من الميدان الادبي موقتاً فما ذلك الا لأنه رأى ان الاديب عندنا لايحتل المكان اللائق ، وان الادباء عندنا قد كثروا حتى اختلط الامر على القارئ والناشر فما يستطيع التمييز بين الجوهر الصحيح والزائف إلا بجهد ، وضاع تقـدير الاديب الحق بين ذلك ، ورأى نكران الناس بصورة عامة والادباء بصورة خاصة لأدبه اثناء مرضه الاخير ، فلم يزره واحد من اولئك الصحفيين الذين غذى جرائدهم ومجلاتهم بادبه ، ولم يتلفت اليه واحد من اولئك الادباء الذين كانوا يظهرون له الود والاعجاب . قرر ان لايكتب بعد ذلك الجحود والنكران لابسبب الجوع واذا كانت قدمرت عليه ايام عصيبة اثناء مرضه فليس معنى ذلك انه لايزال يعانيها . وما ذكرناه عن اسباب انسحاب عبد المجيد يصح قوله عن الناصري وان كان هناك اختلاف بينهما مداره ان احدهما اديب يعيش في الواقع ويعرف مطالب الحياة والاخر شاعر يعيش في اجواء الخيال بعيدا عن الحياة الواقعية

وماذا يعني الكاتب بقوله ان عبد المجيد قد سلخ النصف الثاني من عمره وشبابه ؟ اتراه يعرف ان الشباب هو فترة من العمر ؟ فاذا كان يعرف ذلك فليعلم بان عبد المجيد لطفي قد امضى اكثر من خمس وعشرين عاما وهو يكتب وينشر وقد جاوز الاربعين الان ومعنى ذلك انه قد افنى شبابه كله في خدمة الادب والفن . واذا رفعنا كلمة الشباب من الجملة فهل بقي فيها الا ان عبد المجيد قد انهى النصف الثاني من عمره ؟ أهكذا يريد ان يقول .

... اما بعد فان انسحاب الاديب الكبير من الميدان الادبي نكبة ادبية مافي ذلك شك ، ولكن الحديث عنه بهذا الاسلوب المائع اشد نكبة على اصدقائه وعارفي مركزه الادبي ؟

البصرة

محمد حسين اسماعيل

للشاعر أكرم الوتري

عـابرة

كنت امشي .. يـكاد يخنقني الليل ويطغى عـلى فيض جنوني
والرياح الغضبى تزمجر في الدرب وتلقي غبـــاره في الجفون
حين اقبلت من بعيـد فطلقت خيـالي في عالم من فتون
كنت تمشين في الطريق كظل غامض من طيوف حلم حنون
وتنيـلت شعرك النـاعم الخمري على الاسـرار فوق الجبين
وتبسمت ، فالتفت لضنين بأن الح الهـــوى في العيون
فرأيت الهوى على الجيد ظمآن عفيفاً ... يخاف همس الظنون
ورأيت الصبـا بوثبـة نهـديك ، فباحت بسرك المكنون
وتذكرت .. فانتشيت من الذكرى لأمس ممطر بالحنين
رددته عيناك حتى تناهى في اضطرابات خـافق مجنون
أي سحر وضعت في البسمة الخجلى فافنت من ناظري شجوني ؟
صوت أهوى الرياح ... حتى الاعاصير ..
واهوى غبارها في الجفون!

بغداد

اكرم الوتري